الخريف

يـا حبيبي غيمـة في خـاطـري
وجفـوني وعلى الأفق سحـابـهْ
غـفـر اللَّهُ لـهـا مـا صنـعـت
كلمـا شـاكيتهـا تنـدى كـآبـهْ
صـرخ القفـرُ لـهـا منتحِبـاً
وبكى مستعـطفـاً ممـا أصـابـهْ
فـأصـمّ الـغـيـثُ عـنـهُ أذنَـهُ
مـا على الأيـام لـو كـان أجـابـهْ

* * *

كثـر الهجـرُ على القلب فهـل
مـن سلو أو بـعـاد يـرتـضـيـهِ
أنـت فجـرٌ مـن جمـال وصبـا
كـل فـجـر طـالـع ذكَّـرنيـهِ
كيـف جـانبتـك أبغي سلوةً
ثـم نـاجيتـك في كـل شبيـهِ
أيـهـا السـاكـن عـيـني ودمـي
أين في الـدنيـا مكـان لست فيـهِ
عـنـدمـا أزمـعَ ركـب الـعـمـر
رحـلةً نـحـوَ الـمـغـاني الأخـرِ
ظـهـرت تـجـلوك كـفُّ الـقـدرِ
صـورةً أروعَ مـا فـي الـصـورِ
تـتـراءى في الـشـبـاب الـعـطرِ
نـفحـةً تـحمَـل طـيبَ الـسحـرِ
وقـف الـعـمـرُ لـهـا مـعـتـذراً
وثـنـى الـركـبُ عـنـانَ الـسفـرِ

* * *

عنـدما أقفـرتِ الـدنيـا جميعاً
لحتَ لي تحمـل عمـراً وربيعـا
إن يكن حلمـاً تـولى مسـرعـاً
أجمـل الأحـلام مـا ولى سـريعـا
إن يكنْ مـا كـان دَيْنـاً يقتضـيْ
خـلني أدفعـه عـنـك دمـوعـا
قـد شـريـنـاه عـزيـزاً غـاليـاً
إن تكن بـعتَ فـإني لن أبـيعـا

* * *

يـا نـدامى الحب سُمـار الهـوى
سكبوا لي السهدَ في ذاك الشراب
ارقـوني أجـرع السـقـم وبـي
صفـرة الكـأس وأوهـام الحبـاب
كـلمـا تـقـبـل أيـام المـنـى
تنجلي النعماءُ عن ذاك السراب
وتـرى أيـاميَ الحـيـرى عـلى
عـرسها الضـاحك أحـزان الضباب

* * *

لـم أقيـدك بـشيء فـي الـهـوى
أنت من حبي ومن وجـدي طليقْ
الـهـوى الخـالص قـيـد وحـده
رب حـر وهـو فـي قيـد وثـيقْ
مـزّقت كفيـك أشـواكُ الهـوى
وأنـا ضقت بـأحـجـار الـطريقْ
كـم ظـمـيٍ بـظمـيٍ يـرتـوي
وغـريـق مـسـتـعـيـن بـغـريـقْ

* * *

يـا ليـالي العمـر مـا سـر الليـالي
البـطيئـات المـمـلات الـطوالِ
مسـرعـات مبـطئـات ولـهـا
خفـة المـوت وأثقـال الجبـالِ
كـاسفـات البـال عـرجـاء المنى
عـاثـرات الحظ شـوهـاء الـظلالِ
عجبـاً للعمـر يمضي مسـرعـاً
للمنـايـا بسلحفـاة المـلال (؟!)

* * *

يا قمارى الروض في أيك الهوى
جفّتِ الـروضـةُ من بعـد النـديمْ
حـل بـالأيـك خـريفٌ منكـرٌ
وظـلال قـاتـمـاتٌ وغـيـومْ
مـاتـت الـروضـةُ إلا طـائفـاً
من هوى حي على الذكرى يقومْ
فـإذا أنـكـر مـا حـل بـهـا
فـر يبغي سـربَـه بين النـجـومْ
شـاهت الـدنيـا وجـوهـاً ورؤىً
وتـولاهـا سـهـومٌ ووجـومْ
يا عذارى الحسن في ظل الصبا
كـل حسن بـعـد ليـلاي دميمْ
يـا نعيم العيش في ظل الرضـا
آه لـو أعـرف مـا طعم النعيمْ
أنكـر الـجـنـةَ قـلبٌ ضـجـرٌ
أبـدي النـار مـوصـول الجحيمْ

* * *

طـالمـا مـوهتُ بـالضحـك فمـا
غيَّـر التمـويـهُ رأيـاً لـك فيـا

كلما تنظر في عيني ترى
سريَ الغافي ومعناي الخفيا
وترى في عمق روحي زهرةً
قد سقاها الحزنُ دمعاً أبديا
ويراه الناسُ طلا وترى
أنت دمعاً غائماً في مقلتيا

* * *

يا فؤادي ما ترى هذا الغروبْ
ما ترى فيه انهيار العمرِ؟
ما ترى فيه غريقاً ذا شحوبْ
يتلاشى في خضم القدرِ؟
ما يراها اتأدتْ قبل المغيبْ
ورمتْ من عرشها المنحدرِ
لفتةَ الحسرةِ للشط القريبْ
قبل أن تسقط خلف النهرِ...

* * *

يا فؤادي قاتل اللَّهُ الضجرْ
وعذابي بين حل وسفرْ
ما ترى قطرةً من بعدها
راحة ترجى وبال يستقرْ
ذلك الجرح وما أفدحه
ما عليه لو إلى السلوى عبرْ
قد طواه اليوم في بردته
وأتى الليلُ عليه فانفجرْ

* * *

مرَّ يومي فارغاً منك ومن
أملِ اللقيا فما أتعسَ يومي
أنت يومي، وغدي أنت، وما
من زمان مرّ بي لم تكُ همي!

آهِ كم أغـدو صغيـراً، حـاجتي
لـكَ كـالـطفـل إلى رحمـةِ أمِّ
ولـكم أكبـر بـالـحب إلـى أن
أغتـدي مستشـرقـاً آفـاق نجمِ

* * *

أي سـرٍّ فيـك إني لـست أدري
كـل ما فيـك من الأسـرار يغـري
خـطرٌ ينسـابُ مـن مفتـر ثغـر
فتنـة تـعصـف من لـفتـة نـحـرِ
قـدر ينسـج مـن خصلة شعـر
زورق يسبـحُ في مـوجـةِ عـطرِ
في عبـاب غـامض التيـار يجـري
واصـلاً مـا بين عينيـك وعمـري

* * *

ذات لـيـلٍ والـدجى يـغمـرنـا
أتـرى تـذكـر إذ جـزنـا المـدينـةْ؟
كـلمـا روعـت مـن نـار شـجٍ
حـر مـا يصلى تلمست جبينَـهْ
بيـدٍ شفـافـة مثـل النـدى الـرطـ
ـب تعيـد النـار بـردا وسكينـه
أيـهـا الآسـي لـنـاري هـذه
مـا الذي تصنـع بالنـار الـدفينـه؟

* * *

أخـيـالاً كـان هـذا كـلُّهُ
ذلـك الجسـر الـذي كنـا عليـه؟
والمصـابيـح التي في جـانـبيـه
ذلـك النيـل ومـا في شـاطئيـه؟

وشـعـاع طـوفـت فـي مـائـه
وظـلالٌ رسـبـت فـي ضـفـتـيـه
وحـبـيـب وادع فـي سـاعـدي
ووعـود نـلـتـهـا مـن شـفـتـيـه؟

* * *

رب لـحن قص في خـاطـرنـا
قصـةَ الحادي الـذي غنّى سهـادَهْ
وكـأن الـصـمـت منـه واحـةٌ
هيـأتْ من عشبها الـرطب وسـادَهْ
هـا أنـا عـدت إلى حيث التقينا
في مكـان رفـرفت فيـه السعـادَهْ
وبـه تـد رفـرف الصمتُ علينـا
إنَّ في صمـت المحبين عبـادَهْ

* * *

رفـرف الـصمـتُ ولـكـن أقـبـلتْ
من أقـاصي السهلِ أصـداءً بعيدَهْ
تـتـهـادى فـي عـبـاب سـاجـرٍ
مـرسـلٍ للشطِّ أمـواجـاً مـديـدَهْ
كـم نـداء خـافـت مـبـتـعـد
تشتهي أذنُ الهـوى أن تستعيـدَهْ
عـاد منـسـابـاً إلى أعمـاقـهـا
هـامسـاً فيهـا بـأصـداءٍ جـديـدَهْ

* * *

رفـرف الصمتُ ولكـن هـا هنـا
كـل مـا فيـك من الحسنى يغني
آه كـم مـن وتـر نـام على
صـدر عـودٍ نـومَ غـاف مـطمئنِ
وبـه شـتى لـحـون مـن أسـى
وحـنـيـنٍ وأنـيـنٍ وتـمـنـي

رقـد الـعـاصفُ فيـه وانـطوتْ
مهجةُ العودِ على صمتٍ مرنِ. . .

* * *

هـذه الـدنيـا هـجيـرٌ كـلُّهـا
أين في الرمضاء ظل من ظلالـكْ
ربـمـا تـزخـر بـالحسـن ومـا
في الدمى مهما غلت سر جمالكْ
ربـمـا تـزخـر بـالـنـور وكـم
من ضياء وهو من غيـرك حالـكْ
لو جرت في خاطري أقصى المنى
لـتمـنيتُ خيـالاً مـن خيـالـك

* * *

أنـا إن ضـاقت بي الـدنيـا أفيءْ
لـثـوانٍ رحبـةٍ قـد وسعـتـنـا
إنـمـا الـدنيـا عـبـابٌ ضمنـا
وشـطوطٌ مـن حـظوظٍ فـرقتـنـا
ولـقـد أطـفـو عـليـه قـلقـاً
غـارقـاً في لحـظة قـد جمعتْنـا
كلمـا تتـرى الـمعـاني أجتـلي
خلف معنـاهـا لأسـرارِك معـنى

* * *

مـا الذي صبـك صبـاً في الفؤادْ
مـا الـذي إن أقصِـه عنيَ عـادْ
طـاغيـاً يعصفُ عصفـاً بـالـرشـادْ
ظـامئـاً سـيـان قـرب وبـعـادْ
سـاهـر العينين مـوصـول السهـادْ
مـا الذي يجـري لهيباً في الـرمادْ

مـا الـذي يـخلقنـا مـن عـدم
ما الذي يجري حياةً في الجمادْ

* * *

كـم حبيـب بـعـدت صـهـبـاؤه
وتـبـقـت نـفـحـةٌ مـن حـبـبِـهْ
في نسـيـجٍ خـالـدٍ رغم البلى
عـبث الـدهـرُ ومـا يـعبـث بِـهْ
مـا الـذي في خصلة من شعـره
مـا الـذي في خـطه أو كُتـبِـهْ
مـا الـذي فـي اثـرٍ خـلَّفـه
مـنْ أفـانيـن الهـوى أو عـجبِـهْ

* * *

مـا الـذي في مجلس يـألفـه
عـقـد الـحبُّ عـليـه مـوعـدَهْ
ربـمـا يـبكي أسـى كـرسيُّـهُ
إن نـأى عنـه وتبكي الـمـائـدَهْ
ربـمـا نـحسبـهـا هـشـتْ إذا
عـائـدٌ هش لـهـا أو عـائـدَهْ
ربـمـا نـحـسبـهـا تـسـألـنـا
حـيـن نـمضي أفـراق لـعـدَهْ؟

* * *

كم أعـدت لك ستـراً في الخفاء
وتـوارت عـن عـيـون الـرقـبـاء
كـم أعـدت نفسهـا وانـتـظرت
واستـوت مـوحشـة تحت السمـاء؟
وهي لـو تملك كفـا صـافـحت
كـفَّـك الحلوةَ في كـل مسـاء

وهي لو تملك خوداً بذلت
كل ما تملك كفٌّ من سخاء

* * *

رب كرم مده الليل لنا
فتواثبنا له نبغي اقتطافَهْ
وعلى خيمته أسوده
عربي الجود شرقي الضيافَهْ
وجد العرس على بهجته
وسناه دون ورد فأضافَهْ
ثم وارت يدَه جنيةٌ
وطوته بأساطير الخرافَهْ...

* * *

أرج يعبق في أنحائه
حملته نحو عرشينا الرياحْ
كل عطر في ثناياه سرى
كان سرّاً مضمراً فيه فباحْ
يا لها من حقبة كانت على
قِصَرٍ فيها كآماد فساحْ
نتمنى كلما طابتْ لنا
أن يظل الليل مجهول الصباحْ

* * *

يا فؤادي العمر سفرٌ وانطوى
وتبقتْ صفحة قبل النوى
ما الذي يغريك بالدنيا سوى
ذلك الوجه، وذياك الهوى

* * *